حقوق العباد

❁ أيها المؤمنون: موقفٌ عظيم، وساعةٌ عصيبة، ونداءٌ مفزع، يفر لأجله المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه.

روى الإمام أحمد في مسنده، والبخاري في الأدب المفرد من حديث جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أنه قال: «يحشر الله الناس يوم القيامة عُراة غرلًا بهمًا، قال: قلنا: وما بُهمًا؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يَسْمَعُه مَن بَعُدَ كما يسمعه مَن قَرُبَ: أنَا الملك، أنا الدَيَّان، لا ينبغي لأحد من أهل النار، أن يدخل النارَ، وله عند أحد من أهل الجنة حق، حتى أَقُصَّه منه، ولا ينبغي لأحد مِن أهل الجنَّة أَن يَدْخُل الجنَّةَ، ولِأَحَد مِن أهْل النَّار عِنْدَه حق، حتى أقصَّه منه، حتَّى اللَّطْمَة، قال: قلنا: كيف؟ وإِنَّا إِنَّما نَأْتِي اللهَ -عز وجل- عُراةً غُرلًا بُهْمًا؟ قال: بِالحَسَنَات والسيِّئَات».[1]

ألا ما أعظمه من موقفٍ، وأشدها من ساعة، وأخوفه من خطب! ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

❁ أيها المؤمنون: إن حقوق العباد عظيمة، مبنيةٌ على المشاحة، لا تكفرها التوبة، لا يُستهان بأمرها، ولا يُغفل عن آخذها، لقد قام رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوم النحر في حجة الوداع خطباً ثم قال لأصحابه: «فإنَّ دِمَاءَكُمْ، وأَمْوَالَكُمْ، وأَعْرَاضَكُمْ، وأَبْشَارَكُمْ، علَيْكُم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، أَلَا هلْ بَلَّغْتُ قُلْنَا: نَعَمْ، قالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ.[2]»

الحقوق المالية ولو كانت فلسا، والحقوق العينية ولو كانت خيطا وحقوق الأعراض من غيبةٍ أو نميمةٍ أو همزٍ أو تصديق تهمةٍ وافتراء، أو غيرها، أو غيرها، أو غيرها.

العبادُ عباد الله، وحقوقهم عظيمة، وقد حرم الله الظلم على نفسه، وجعله بينكم محرمًا.

وفي صحيح مسلمٍ أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة

---

[1] أخرجه: أحمد (٢٥/٤٣١) برقم (١٦٠٤٢)، وحسنه الألباني.

[2] أخرجه: البخاري (١/٢٤) كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»، برقم (٦٧)، ومسلم (٣/١٣٠٦) كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ، بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ، برقم (١٦٧٩).

بصلاةٍ وصيامٍ وزكاة،) إنها عباداتٌ عظيمة، قد تقبلها الله، ولكن(يأتي وقد شتم هذا، وظلم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته، قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النار».[٣]

أرأيتم أعظم من رجلٍ خرج بنفسه وماله في سبيل الله حتى قُتل، وتقبله الله شهيدًا، «يُغفر للشهيد كل ذنب، إلا الدين[٤]» كما رواه مسلم.

لقد عذَّب الله امرأةً بسبب هرةٍ حبستها حتى ماتت، لا هي أطعمتها، وسقتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، منعت عنها الطعام فأهلكتها.

إذا كان هذا في شأن هرة، فما ظنك بعبدٍ من عباد الله، حرّم الله دمه، وماله، وعرضه؟

إن أي حقٍ –ولو كان يسيرًا– لم يُرد اليوم، ليُردنَّ يوم القيامة، وأي درهمٍ لم يُرد اليوم، ليُردنَّ يوم القيامة.

وفي صحيح مسلمٍ أن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: «لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء.[٥]»

كتب رجلٌ إلى ابن عمر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: "أن اكتب إليّ بالعلم كله".

فكتب إليه: (إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خفيف البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازمًا لأمر جماعتهم فافعل).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

---

[٣] أخرجه: مسلم (١٩٩٧/٤) كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، برقم (٢٥٨١).

[٤] أخرجه: مسلم (١٥٠٢/٣) كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ كُفِّرَتْ خَطَايَاهُ إِلَّا الدَّيْنَ، برقم (١٨٨٦).

[٥] أخرجه: مسلم (١٩٩٧/٤) كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، برقم (٢٥٨٢).

الخطبة الثانية

أما بعد:

❁ أيها المؤمنون: إذا تقرر أن حقوق العباد شأنها عظيم، والسؤال عنها عسير، وأن العاجز عن أخذ حقه في الدنيا يقتص الله له يوم القيامة، فإنه ليس ثمت مخرجًا إلا التحلل من المظالم، ومن وجد في نفسه كبرًا اليوم عن التحلل فليذلنه الله أمام الخلائق يوم القيامة.

إن التبرير للنفس لن يبرئ يوم القيامة، لأن الله يعلم ما تخفي الصدور.

وقد روى البخاري في صحيحه أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «من كان عنده مظلمةٌ لأخيه، من عرضٍ أو شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل ألا يكون دينارًا ولا درهمًا؛ إن كان له عملٌ صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه[٦]» إن التحلل من المظالم من شيم الكرام، وعلامة التقوى.

إن الخطأ على الغير لا تبرره حسنه النية، قد تظلم خادمًا لأمرٍ لم يقصده، أو تضرب على صبيٍ لخطئ لم يفعله، أو تبخس أجيرًا أجرًا، أو تقصر في حق جارٍ أو زوجٍ أو أهل.

تأمل في ذلك الموقف العظيم، موقف سواد بن غزية إذ طعنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأصبعيه، فقال: «أوجعتني يا رسول الله، فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: اقتص مني، قال: إن عليك قميص، ولم يكن عليّ قميصٌ يا رسول الله، فرفع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن قميصه، فأقبل سواد على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقبله، وقال: أردت هذا.[٧]»

وبالجملة -أيها المؤمنون- فمن استطاع ألا يموت ولأحدٍ عليه حقٌ، ولو شبهة، فليفعل، فإن الموقف عظيم، والسلامة لا يعدلها شيء.

---

[٦] أخرجه: البخاري (١٢٩/٣) كِتَاب المظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ عِنْدَ الرَّجُلِ فَحَلَّلَهَا لَهُ، هَلْ يُبَيِّنُ مَظْلَمَتَهُ، برقم (٢٤٤٩).

[٧] أخرجه: أبو داود (٣٥٦/٤) أَبْوَابُ النَّوْمِ، بَابٌ فِي قُبْلَةِ الْجَسَدِ، برقم (٥٢٢٤)، وصحح إسناده الألباني.